سلسلة هكذا تحدث الدعاة والعلماء

شريف كمال عزب

أهوال القبر

تعليق وإعداد

قسم الإعداد بدار الشريف

أهوال القبور

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾

(الأنبياء ٠٣٥)

ستموتون والله ، ذلك الحق الذي لا مرية فيه ، وخبر الصدق الذي لا يتسرب إليه الشك ، ولعله ليس بالخبر المفاجئ لكم ، إنها رسالة ربانية تعرفونها من دنياكم الفانية، ولا أريد أن أفجعكم ، ولكنها الحقيقة الراسخة رغم أنف كل معارض .

ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه

إذا ما تخطته الأماني باطل

ستموتون والله

" الموت " ...... إنه قادم لا محالة .

" الموت " ...... إنه آتٍ ولا مرد له .

" الموت " ... ... إنه يأتي بغتة .

" الموت " ......لا يطرق بابك .

" الموت " لا يستأذنك .

" الموت " دين على كل أحد .

" الموت " ساعتك وساعة كل أحد .

وكلُّ أناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُم

دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرّ مِنْهَا الأنامل

فيا أخا الموت .. مالك أتعبت نفسك في كسب الحطام الفاني ولن يبقى لك .

يا أخا الموت .. سيسلبك الموت أثوابك ويمنعك مما تشتهي ، فمالك أفنيت بدنك من أجل متاع قليل .

❁ قال الله : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ ﴾

(الأحزاب ٠١٦)

فهل لك من الموت من راق ، فمالك أتراك تفر منه أم أنه سيولى عنك ، أما رأيته لا يعرف صغيرا من كبير ، ولا غنيًا من فقير ، ولا قويًا من ضعيف ، ولا عزيزًا من ذليل .

كم من عزيزٍ أذل الموتُ مصرعه

كانت على رأسهِ الراياتُ تخفق

قال تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(المنافقون ٠١٠-٠١١)

فلماذا أخلدت إلى الأرض ، هل علمت من نفسك أنك ستبقى فيها ، ألست ترى المشيع ينعي كل يوم من قريب أو صاحب ، فلماذا لم تعد لذلك اليوم عدته ؟

عَجَباً لامرئٍ يرى الأرضَ مثوا
هُ وأقصى منـاه كسبُ الثراءِ
وكفى المرءَ منـذراً بدنوِّ المو
ت فـقـدُ الأتـرابِ والقُرناءِ

الموت قدر الله ، وقدر الله حتم لازم ، فهل تستطيع أن ترده ؟

۞ إنا نعلَّلُ بالدواءِ إذا مَرِضْــنا ، ولكن هل يشــفي من الموتِ الدواءُ ؟ إنا نختارُ الطبيبَ إذا ســـقمنا ولكن هل طبيبٌ يؤخرُ ما يقرهُ القضاءُ ، يا أخا الموت أنفاسُنا حسابٌ.

إذا كـان أمرُ اللّـهِ أمـراً يقـدَّرُ
فكيف يفرُّ المرءُ منه ويحذرُ؟
ومن ذا يردُّ الموتَ أو يدفع القضا
وضربتُهُ محتومةٌ ليس تعثرُ

❁ قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ **قف معي نتأمل هذا المشهد العظيم ، هذه اللحظة الرهيبة ، قف واسأل نفسك إلى أين ... ؟ وحتى متى ...؟ قل لها : أما رأيتِ من بغتهم الموت كانوا مثلك لا يعتقدون أن قد آن أوانه ، فما لبثوا أن جاءهم فبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ، فتوبي قبل أن تقولي هل إلى مرد من سبيل فيقال : كلا ، قل لها :**

يا نفسُ توبي فإن الموتَ قد حانا
واعصِ الهوى فالهوى مازال فَتَّانا

في كل يـوم لنا مَيْـتٌ نشيـعهُ
ننسـى بمصرعهِ آثـارَ مَوْتـانـا

يا نفسُ مالي وللأموالِ أكنزُهـا؟
خَلْفي وأخرجُ من دنـيايَ عريانـا

ما بالُنا نتعامى عن مَصارِعنا؟
ننسى بغفلِتنا من ليس يَنْسـانـا

قل لها :

الموتُ ضيـفٌ فاستعـدَ لهُ

قـبلَ النـزولِ بأفضلِ العددِ

واعملْ لـدارٍ أنتَ جاعلَها

دارِ المقامـةِ آخـرَ الأمـدِ

يا نفسُ موردُكِ الصراطُ غداً

فتأهبي من قبـل أن تـردي

هذه الدنيا كل ذي نعمة مخلوسها ، وكل ذي أمل مكذوب ، وكل ذي مال موروثها وكل سلب مسلوب ، وكل ذي غيبة يؤوب لكن غائب الموت لا يؤوب .

فما بالنا سكارى كأن الموتَ يأخذُ غيرنا فداءً لنا كيلا يَمُرَّ بنا حَتْف . تعال بنا نقلب صفحة من صفحات هذا الغيب المهيب ، تعال لنداوي قسوة قلوبنا ، بنا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة ، بنا نجتاز العسرة قبل يوم الحسرة ، بنا نذكر الموت قبل الفوت . وقد حثنا رسول الله ﷺ لذلك فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ـ يَعْنِي الْمَوْت ـ "[1].

---

[1] أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ما جاء في ذكر الموت . وقال : حسن صحيح غريب . وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الترمذي (١٨٧٧) .

قف وتأمل

احضر بقلبك ذكر من كان متردداً في أغراضه كيف تهدمت رجلاه في قبره . يقول الرافعي : كل من يهرب من شيءٍ يتركه وراءه إلا القبر فما يهرب منه أحد إلا وجده أمامه ، هو أبداً ينتظر غير متململ ، وأنت أبداً متقدم إليه غير متراجع.

أخي في الله

تأمل : صاحبك في القبر

- كان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله ، فإذا به في قبره وقد سالت عيناه.
- كيف كان يصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه.
- كيف كان يضحك لمواتاة دهره ، قد أبلى التراب أسنانه.

تأمل وتذكر :

بل وتحقق وتأكد أن سيكون حالك كحاله ، ومآلك كمآله ، وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنك جميع الأغيار الدنيوية ، وتقبل على الأعمال الأخروية ، فتزهد في دنياك ، وتقبل على طاعة مولاك ، يلين قلبك ، وتخشع جوارحك ، فزيارة ذلك الواعظ من أكبر أسباب تقوية القلب ، وإزالة تلك الغشاوة .

فأنت عندما تذهب إلى المسجد يوم الجمعة تستمع إلى واعظ واحد ، فالمصــلون كثيرون والواعظ واحد ، ولكن الصــورة تنقلب في المقبرة حيث تتحول كل القبور إلى وعاظ ، وأنت تستمع إليهم في آن واحد ، فالمستمعون قليل والوعاظ أكثر.

وهــذه حــالة فريدة لا تكون في أمور الدنيا إلا في ذلك المكان ، فالقبر ما يفتأ صامتا لا يتكلم ، ولكن صوته في أعماق الناس أعلى من صوت ذلك الواعظ الجهوري الصوت في المسجد .

تعالوا بنا لنزور ذلك الواعظ الصــــامت ، نقف عنده مليا لنتدبر حديثه الدائم ، عسانا نعتبر .

إنَّه القبر

القبر

لا يملك العبارات المنمقة المصــفوفة ، ولكن منظرة أعمق من كل عبارات الوعاظ.

القبر

لا تتحرك يــديــه ، ولا يتلفــت بوجهه ميمنة وميسرــة ؛ ليجذب جمهور المســـتمعين والمشـــاهدين بخطبته ؛ لأن الجاذبية تركزت فيه تجذب القلوب قبل الأجساد.

القبر

ما هو إلا تلك الحفرة التي ســينام فيها الإنســان ، عندما تتوقف الآلــة التي كان يعمل من خلالها بعد أن ينتهي من أداء الاختبار الذي كان قد كلف بأدائه .

القبر

الـذي تظهر فيـه النتـائج الأولية للاختبار بعد أن يســـتقر بهذه الحفرة .

❁ يقول الرافعي :

" فتحنا القبر وأنزلنا الميت العزيز الذي شــفي من مرض الحياة ، ووقفت هناك بل وقف التراب المتكلم ينقل عن التراب الصـامت ، ويعرف منـه أن العمر على مـا يمتد محدود بلحظة ، وأن القوة على مـا تبلغ محـدودة بخمود ، وأن الغـايـات على مـا تتســـع محدودة بانقطاع ، وحتى القارات جميعها محدودة بقبر " .

فما ذلك الواعظ الصامت إلا تلك الحفرة التي تُسَمَّى القبر.

هو كما يناديه الرافعي أيضاً فيقول :

" واهاً لك أيها القبر ، لا تزال تقول لكل إنســـان تعال ، ولا تبرح كـل الطرق تفضيـــ إليك ، فلا يقطع بأحد دونك ، ولا يرجع من طريقك راجع وعندك وحدك المساواة .

فما أنزلوا قط فيك ملكا عظامه من ذهب ، ولا بطلا عضلاته من حـديـد ، ولا أميرا جلـده من ديبـاج ، ولا وزيرا وجهه من حجر ، ولا غنيا بجوفه خزانة ، ولا فقيراً علقت في أحشـائه مخلاة ، واهاً لك أيها القبر " .

و تالله لولا قسوة القلوب والانشغال بالوسائل التي تعين على أداء الهدف الذي خلقنا من أجله لتذكر الإنسان عند ولادة كل مولود اليوم الذي يدفن فيه .

يقول ابن الجوزي : " عبر مهد الطفل عنوان اللحد " .

فكما يلف الطفل المولود بقطعة قماش بيضـــاء ، ويوضـــع في المهد بلا حراك ، فكذلك الميت أيضاً يلف بقطعة بيضاء هي آخر ثوب يلبســـه بـالدنيا ، ليبقى في مهد الأرض دون حراك إلى يوم البعث .

زوروا القبور

يقول رسول الله ﷺ : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فـإنهـا تُرق القلـب وتـدمع العين ، وتـذكر الآخرة ، ولا تقولوا هُجرا[٢].

إن هـذا الحـديـث وأمثـاله تدفع المؤمن للانخلاع من جو الركود واللاشعور الذي تعود العيش فيه إلى عالم الاستشعار والتذكر.

يقول المناوي معلقاً على الحديث الســابق : " ونعم الدواء لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه ".

وللتراب الصـامت صـوت لا يسـمعه إلا من تذكر هادم اللذات ، وهو أمـامـه يتـأمـل ومحـاورتـه متعـة لا يحوزها إلا من أراد أن يكون من أبناء الآخرة ، واســتن بســنة الإمام على (رضي الله عنه) بتطليق الدنيا بثلاث.

---

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٢/١) وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع (٤٥٨٦) .
قال ابن الأثير في النهاية : هجرا أي فحشا .

حوار مع القبر

اقرأ لهذه المحاورة بين الرافعي والقبر

❁ يقول : سـألت القبر : أين المتاع والمال ؟ أين السـحر والجمال ؟ أين الصـحـة والقوة ؟ أين المرض والضـعف ؟ أين القدرة والجبروت ؟ أين الخضوع والذلة ؟

قـال : كل هذه صـور فكرية لا تجيء إلى هنا لأنها لا تؤخذ من هنا .

❁ هكـذا يتوقف كـل شـئ هنـاك في تلـك الحفرة تتوقف الابتسـامات والقهقهات ، يتوقف الجدال والصرـخات ، ويتوقف العنـاد والكبرياء ، ويتوقف الأمل والجشـع ، ويتوقف الإخلاص والرياء ، ويتوقف العجب بالمنصـب والجمال ، يتوقف الافتخار بـالعشـيرة والجاه ، يتوقف الغرور بالقوة والعقل ، كما يتوقف ظلم من ظلم ، وذلـة من اسـتـذل ، يتحول الوجه الفاتن واليد الظـالمـة واللسـان الكـذوب والعين الخـائنة والقلب القاسي إلى جماجم ، وأعظم نخرة تعبث بها الديدان من كل جهة ، ولا يبقى إلا العمل الذي قدمه صاحب القبر ، يسأله عنه منكر ونكير ، ولا يبقى بعدهما إلا هذا الجليس المؤنس الوحيد .. العمل.

❁ وأينما يذهب الإنسـان تتلقاه أسـئلة كثيرة : ما اسمك ؟ ما صناعتك ؟ ما وظيفتك؟ ما مؤهلاتك ؟ كم عمرك ؟ كيف حالك ؟ ماذا تملك ؟ ما صـحتك ؟ وطنك ؟ ما رأيك ؟ ما طلباتك ؟ رغباتك ؟ أمنياتك ؟ .

❁ عند القبر يبطل هذا كله ، كما تبطل اللغات البشر ـية كلها في الفم الأخرس ، وهناك ينطق بسـؤال واحد للإنسـان ما عملك ؟.

فـإمـا عمـل يحيل قبره إلى روضـــة من رياض الجنة ، وإما عمل يحيل قبره إلى حفرة من حفر النار.

ولكن كل ما ذكرت لا يكون إلا لمؤمن صــادق يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويصـــدق بعقيـدة عذاب القبر ونعيمه ، وفي زمن الجهل والبلبلـة لعقـائـد المســـلمين لابد أن نعود لتثبيت عقائد الملايين بذكر أصول هذه العقيدة.

عقيدة أهل السنة والجماعة

في عذاب القبر

قال الإمام الطحاوي في ذكر العقيدة الإسلامية :

نؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً ، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه ، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران " .

قال الإمام أحمد : وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه ونبيه وعن الجنة والنار ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات .[٣]

وقال الإمام القرطبي في " التذكرة " :

" الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب ، والتصديق به لازم ، حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة إليه ، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه ، وما يجيب به ، ويفهم ما أتاه من ربه ، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان ، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي ﷺ آناء الليل وأطراف النهار ، وهذا

---

[٣] تاريخ دمشق (٣١١/٢١) .

مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملة ، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم ﷺ غير ما ذكرنا ، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جرا " أهـ

فإذا تبين لك هذا فاعلم أنَّ عقيدة أهل السـنة والجماعة على أنَّ عذاب القبر ونعيمه على النفس والبدن جميعًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٢/٤) لما سئل عن هذه المسألة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : بَلْ الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمَعِينَ كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ .

ثم بين ــ رحمه الله ــ أنَّ الفلاسفة وبعض الصوفية أنكروا معاد الأبـدان وذهبوا إلى أنَّ النعيم والعـذاب لا يكون إلا على الروح ، وأنَّ بعض المتكلمين من المعتزلـة والأشـــاعرة قـالوا بـأنَّ الرُّوحَ بِمُفْرَدِهَـا لَا تُنَعَّمُ وَلَا تُعَذَّبُ ، وَيُنْكِرُونَ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وذهب آخرون من المعتزلة إلى نفي ذلك جملة وقالوا : إنَّ الْبَرْزَخَ لَيْسَ فِيـهِ نَعِيمٌ وَلَا عَـذَابٌ ، بَـلْ لَا يَكُونُ ذَلِـكَ حَتَّى تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى . وكل ذلك بَاطِلٌ .

أما الأدلة من السنة النبوية فكثيرة جداً.

١) منها : ما أخرجه البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ، فَقَالَتْ لَهَا : أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ .

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .[٤]

٢) ومنها : ما في الصحيحين عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتْ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ : " يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا " .[٥]

٣) ومنها ما في الصحيحين أيضاً عَنْ عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ

---

[٤] أخرجه البخاري (١٣٧٢) كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر .

[٥] متفق عليه . أخرجه البخاري (١٣٧٥) كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٦٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ .[٦] وهذا كما هو مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة .

﴿ قال المروزي : قال أبو عبد الله ـــ يعني الإمام أحمد ـــ : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

قـال حنبـل : قلـت لأبي عبـد اللـه في عذاب القبر . فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيـد أقررنـا بـه ، إذا لم نقر بما جاء به رســـول الله ﷺ ورفعناه ورددنـاه رددنـا على اللـه أمره ، قـال اللـه تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ " [الحشر/٧]

قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يعذبون في القبور.

قال : وســـمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر ، ومنكر ونكير ، وأن العبد يســأل في قبره فـــــ " يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِـالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ" [إبراهيم / ٢٧] في القبر . أهـ

ثم إنـه ينبغي أن يعلم أن عـذاب القبر ونعيمـه اســـم لعـذاب البرزخ ونعيمه ، وهو ما بين الدنيا والآخرة .

---

[٦] متفق عليه أخرجه البخاري (٨٣٣) كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

قال تعالى " وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون " [المؤمنون /١٠٠]

وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسمى عذاب القبر ونعيمه ؛ لأنه روضة أو حفرة نار ، باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحُرق والغُرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، وقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار ، وصار رماداً ، وذرى بعضه في البحر ، وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك .

﴿الله﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ذكر رجلا فيمن كان سلف أو قبلكم آتاه الله مالا وولدا يعني أعطاه قال فلما حضر قال لبنيه : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : فإنه لم يبتئر (لم يدخر) عند الله خيرا ، وإن يقدم على الله يعذبه فانظروا فإذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني ، أو قال : فاسهكوني ثم إذا كان ريح عاصف فأذروني فيها فأخذ مواثيقهم على ذلك ـ وربي ـ ففعلوا .

فقال الله : كن فإذا رجل قائم . ثم قال أي عبدي ما حملك على ما فعلت .

قال : مخافتك أو فرق منك فما تلافاه أن رحمه الله " [7]

فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه هذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال ، حتى لو علق على رؤوس الأشجار في مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في آتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً ، والهواء على ذلك ناراً وسموماً ، فعناصر العالم وموادها منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ، ولا يستعصي عليه منها شئ أراده ، بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفر به ، وأنكر ربوبيته.

والله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيباً ، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ، ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إمَّا من الجنة وإمَّا من النار ، ويؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر ، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه ، وتارة بإشارته ، وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة.

---

[7] متفق عليه . أخرجه البخاري (٦٤٨١) ك الرقاق ، باب الخوف من الله .ومسلم (٢٧٥٧) ك التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه .

﴿ وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ، ويقر بقدرته ، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمةً منه ورحمةً بهم ، لأنَّهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صعق ، وغشي عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمنا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً.

﴿ ثم إنَّ النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا ، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وإنَّما هي من نار الآخرة وخضرها وهي أشدُّ من نار الدنيا ، فلا يحس به أهل الدنيا ، فإنَّ الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر ، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره.

﴿ وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه.

﴾ﷲ﴿ فيُفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور ، فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيَّبه عن غيره ، إذ لو أطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف ، والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع "[٨] ولمَّا كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره .

فعن زيد بن ثابت قال : بَيْنَمَا النّبِيّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النّجّار، عَلَىَ بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ. وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ فَقَالَ: "مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا . قَالَ: "فَمَتَىَ مَاتَ هَؤُلاَءِ؟ " قَالَ: مَاتُوا فِي الإِشْرَاكِ. فَقَالَ: " إِنّ هَذِهِ الأُمّةَ تُبْتَلَىَ فِي قُبُورِهَا. فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللّهِ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ". ثُمّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ النّارِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ النّارِ. فَقَالَ: "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: "تَعَوّذُوا بِاللّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ " . قَالُوا: نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ

---

[٨] أخرجه مسلم (٢٨٦٧) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه .

الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . قَالَ: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ" قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ.[٩]

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ :

وإنَّما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين ، وإنَّما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله ﷺ " لولا أن لا تدافنوا ...الحديث " .فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية ؛ لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن ، أو يهلك الحي عند سماعه، إذ لا يطاق سماع شئٍ من عذاب الله في هذه الدار لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ، وأين صعقة الرعد من صيحة الذي تضربه الملائكة بمطارق الحديد التي يسمعها كل من يليه ؟ وقد قال ﷺ في الجنازة : " لو سمعها الإنسان لصعق " [١٠].

---

[٩] الحديث السابق .

[١٠] أخرجه البخاري (١٣٨٠) ك الجنازة ، باب كلام الميت على الجنازة .

قلـت : هـذا وهو على رؤوس الرجـال من غير ضرب ولا هوان ، فكيف إذا حل به الخزي والنَّكال واشتد عليه العذاب والوبال؟

فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته ومنه.



التخويف من أهوال القبور

عن أبي هريرة ﵁ أن رسـول الله ﷺ قال : إذا حضر المؤمن أتتـه ملائكة الرحمة بحريرة بيضـــاء فيقولون : اخرجي راضـــية مرضـــية عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضـــبان ، فتخرج كأطيب ريح مسـك حتى إنَّه ليناوله بعضُـهم بعضاً حتى يأتوا به بـاب السـماء ، فيقولون : مـا أطيـب هـذه الريح الطيبـة التي جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشدُّ فرحاً به من أحـدكم بغائبه يقدم عليه فيســألونه ماذا فعل فلان ؟ ماذا فعـل فلان ؟ فيقولون : دعوه فـإنَّـه كان في غم الدنيا فإذا قال : أما أتاكم قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية .

وإن الكـافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمســح فيقولون : اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله عز وجل ، فتخرج كـأنتن ريح جيفـة حتى يـأتوا بـه بـاب الأرض فيقولون : ما أنتن هذه الريح ، حتى يأتوا به أرواح الكفار.[11]

[11] أخرجه النسائي (١٨٣٣) ك الجنائز ، ، وابن حبان (٧٣٣) ، والحاكم (٣٥٢/١ ، ٣٥٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .والحديث صححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في الصحيحة (١٣٠٩) ، وصحيح الجامع (٤٩٠) .

﴿﴾ ❁ قال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان لقد بت الليلة أتفكر في القبر وســـاكنه ، إنك لو رأيت الميت ثلاثة في قبره لاســـتوحشـــت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصـديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلي الأكفـان بعد حســـن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب .

❁ ﴿﴾ وعنه أيضا أنه ـ رحمه الله ـ شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر هو وأصحابه ناحية عن الجنازة ، فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها . فقال : نعم نـاداني القبر من خلفي : يـا عمر بن عبـد العزيز ألا تســـألني ما صـــنعـت بالأحبة قلت : بلى . قال : أحرقت الأكفان، ومزقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم .

❁ ﴿﴾قال:ألا تسألني ما صنعت بالأوصال . قلتُ : بلى !

قـال : نزعـت الكتفين من الـذراعين ، والـذراعين من العضـــدين ، والعضـــدين من الكتفين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الســـاقين ، والســـاقين من القدمين ، ثم بكى. ثم قال :

ألا إنَّ الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشـــابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغترَّ بها .

❁ أين سـكانها الذين بنوا مدائنها ، وشـقوا أنهارها ، وغرسـوا أشـجارها ، وأقاموا فيها أياماً يسـيرة ، غرتهم بصـحتهم فاغتروا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، وإنهم كانوا ـــ والله ـــ في الدنيا مغبوطين بالمال على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه .

❁ ماذا صـنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسـادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة ، وفرش منضـودة بين خـدم يخـدمون، وأهـل يكرمون ، وخيران يغصـون ، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً ، وسر بعسكرهم ، وانظر إلى تقـارب منـازلهم ، واسـأل غنيهم ما بقى من غناه ، واسأل فقيرهم ما بقى من فقره ، واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، واسـألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسـنة والأجسـاد الناعمة ما صـنع بها الديدان تحت الألوان وأطلت اللحمان ، وعفَّرت الوجوه ، ومحت المحاسـن ، وكسرت الفِقَار ، وأبانت الأحشـاء ، ومزقت الأشلاء ، وأين حجابهم ، وبوابهم ؟؟ أين خدمهم وعبيدهم ؟؟ وجمعهم ومكنونهم ؟؟ والله ما فرشـوا فراشاً ، ولا وضعوا هنالك متكئاً ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً.

❁ أليسوا في منازل الخلوات والبلوات ؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ وقد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة.

❁ فكم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية ، وأجسادهم عن أعناقهم نائية ، وأوصالهم متمزقة ، وقد سالت الحدقات على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ، ودبت دواب الأرض في أجسادهم ، ففرقت أعضاءهم ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرا ، حتى عادت العظام دميماً.

❁ قد فارقوا الحدائق ، وصاروا بعد السعة إلى المضايق ، وقد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق أبناؤهم ، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم .

فمنهم : ـ والله ـ الموسع له في قبره الغض الناضر فيه المتنعم بلذته ، ومنهم : المعذب في قبره المضيق عليه فيه ، النادم على ما فرط .

يا ساكن القبر غداً

ما الذي غرك من الدنيا ؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد ؟ وأين ثمرتك الحاضر ينعها ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ وأين طيبك وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟

أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً وهو يرشح عرقاً ، ويتلظى عطشاً ، يتقلب في سكرات الموت وغمراته ، جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، جاء من الأمر الأجل ما يمتنع من هيهات.

❁ يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ... يا مكفن الميت وحامله... يا مخليه في القبر وراجعاً عنه ... ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى ... ليت شعري بأي خديك يبدأ البلى ... وأي عينيك سالت أولاً ... يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى... ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني من رسالة ربي !

ثم انصرف فما بقى بعد ذلك إلا جمعة ثم مات ـ رحمه الله ـ .

أخي الحبيب

۞ توهم نفسك حين استطار قلبك فرحاً وسروراً ، أو مُلِئ حزناً وعبرة ، وبفترة القبر وهول مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك ، فمتثبت من الله - جل ثناؤه - بالقول الثابت ، أو متحير شاك مخذول .

۞ فتوهم أصواتهما حين ينادیانك لتجلس لسؤالهما إياك ؛ ليوقفاك علي مسائلتهما ، فتوهم جلستك في ضيق لحدك ، وقد سقطت أكفانك على جفويك ، فتوهم ذلك ، ثم شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما ، فإنْ رأيتهما بحسن الصورة ، أيقن قلبك بالفوز والنجاة ، وإن رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والغضب.

۞ فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتها وسؤالهما ، ثم هو تثبيت الله إياك إنْ ثبتك أو تحييره إن خذلك.

۞ فتوهم جوابك باليقين أو بالتحير أو بالشك ، وتوهم إقبالهما عليك إن ثبتك الله عز وجل بالسرور ، وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار، ثم توهم وهى تتأجج بحريقها وإقبالها عليك ، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك، فيزداد لذلك قلبك سروراً وفرحاً وتوقن بسلامتك من النار بضعفك.

❁ ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها وقولهما لك : يا عبد الله انظر إلى ما أعدَّ الله لك فهنا منزلك ، وهذا مصيرك ، فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عانيت من نعيم الجنان وبهجة ملكهما وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها

❁ وإن كانت الأخرى فتوهم خلاف ذلك كله ، من الانتهار لك ، ومن معاينتك الجنة ، وقولهما لك : انظر إلى ما حرمك الله عز وجل ومعاينتك النار ، وقولهما لك : انظر إلى ما أعدَّ الله لك ، فهذا منزلك ومصيرك فأعظمْ بهذا خطراً !! وأعظمْ به عليك في الدنيا غماً وحزناً حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك !!

يَا مَنْ بدنياهُ اشْتَغَـل   وغـرَّه طـولُ الأمل
المـوتُ يأتي بَغْتـةً   والقَبْـرُ صُنْدوقُ العَمَل

أهوال القبور

وأهوال القبور أولها :

١- تكليم القبر :

عن أبي سعيد الخدري قالَ: "دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ مُصَلاّهُ فَرَأَى نَاساً كَأَنْهُمْ يَكْتَشِرُونَ ، قَالَ : " أَمَا إِنّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ ذِكْرَ هَاذِمِ الّلذَاتِ لشَغَلَكُمْ عَمّا أَرَى الموت ، فَأَكْثِرُوا من ذِكْرِ هَاذِمِ اللذَاتِ ـ المَوْتِ ـ ، فَإِنّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إلاّ تَكَلّمَ فيه يَقُولُ: أَنَا بَيْتُ الغُرْبَةِ، وأَنَا بَيْتُ الوَحْدَةِ ، وأَنَا بَيْتُ التّرَابِ ، وَأَنَا بَيْتُ الدُودِ، فَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ المُؤْمِنُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَحَبّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيّ فَإِذْ وَلِيْتُكَ اليومَ وَصِرْتَ إِلَيّ فَسَتَرَى صَنِيْعِي بِكَ.

قال: فَيَتّسِــعُ لَهُ مَدّ بَصَرِــهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنّة. وَإِذَا دُفِنَ العَبْدُ الفَاجِرُ أَو الكَافِرُ قَالَ لَهُ القَبْرُ: لاَمَرْحَباً وَلاَ أَهْلاً أَمَا إِنْ كُنْتَ لأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي ـ عَلَى ظَهْرِي إِلَيّ فَـإِذْ وَلِيتُـكَ اليَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيّ فَسَتَرَى صَنِيْعِي بِكَ .

قَالَ فَيْلَتَئِمُ عَلَيْهِ حَتّى تَلْتَقِي عَلَيْهِ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ.

قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ بِأَصَابِعِهِ فَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي جَوْفِ بَعْضٍ قَالَ: وَيُقَيّضُ الله لَهُ سَبْعُونَ تِنّيْناً لَوْ أَنّ وَاحِداً مِنْهَا نَفَخَ فِي الأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئاً مَا بَقِيتْ الدُنْيَا، فَيَنْهَشنَه وَيَخْدِشْنَهُ حَتّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ. قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ " إِنّمَا القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النّارِ ".[12]

﴿الله﴾ عن عبد الله بن عبيد قال : بلغني أن الميت يقعد في حفرته ، وهو يسمع وخط مشيعيه ، ولا يكلمه شئ أول من حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتني ، وحُذِّرت ضيقي وظلمتي ، ونتني وهولي ودودي ، هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لي ؟! "[13]

﴿الله﴾ وروى ابن عبد البر في التمهيد بإسناده عن ابن عائذ عن غضيف بن الحارث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟

---

[12] أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) ك صفة القيامة ، وقال : حديث غريب ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٧) وضعيف الجامع (١٢٣١) ، وذهب صاحب التحرير المرسخ إلى تحسينه .
[13] أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية نعيم بن حماد في نسخته ص ٤١ برقم (١٦٣) ط دار الكتب العلمية بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ، ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلغني ولم يرفعه. قال ابن الأثير في النهاية (١٦٤/٥) الوخط : الخفق والصوت على الأرض . قال القرطبي في التذكرة : الوخط : سرعة السير في المشي .

﴿ألم تعلم أنِّي بيت الوحدة ؟

﴿ألم تعلم أنِّي بيـت الظلمة ، ألم تعلم أنِّي بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرَّك بي ، لقد كنت تمشي حولي فداداً .

قال ابن عائذ : قلت لغضيف : ما الفداد يا أبا أسماء ؟

قال : بعض مشيتك يا ابن أخي أحيانا .

قـال غضـــيف : فقـال عبـد الله بن عبيد بن عمير لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً وسع له فماذا له ؟

قال : يوسع له في قبره ، ويجعل منزله أخضر ، ويعرج بنفسه إلى الله تعالى .[١٤]

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لســانا ينطق به فيقول : يا ابن آدم كيف نسـيتني ؟ أما علمت أني بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة .

۞ وقال أيضاً : إن القبر ليبكي ويقول في بكائه : أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الدود .[١٥]

۞ قال يزيد بن سخبرة : " يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر : أما ذكرت ظلمتي ، أما ذكرت وحشتي ، أما ذكرت ضيقي ، أما ذكرت غمي " .

---

[١٤] التمهيد لابن عبد البر (١٤٥/١٨) ط مكتبة ابن تيمية .

[١٥] ذكرهما القرطبي في التذكرة ص١٠٨ وعزاهما لهناد بن السري بإسناد رجاله ثقات .

۞ وعن عبيد بن عمير قال : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها : أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد ، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً ، كنت اليوم عليك رحمة ، وإن كنت لربك في حياتك عاصياً ، فأنا عليك نقمة ، أنا البيت الذي من دخله مطيعاً خرج منه مسروراً ، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً .

۞ وعن محمد بن صبيح قال : بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فَعُذِّب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه أما كان لك فينا معتبر ؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة ؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا هنا وأنت في المهلة ؟ فهلا استدركت ما فات ؟ وتناديه بقاع الأرض : أيها المغتر بظهر الأرض هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ، ثم سبق به أجله إلى القبور ، وأنت تراه محمولاً تناديه أحبته إلى المنزل الذي لا بد له منه.

٢- ضمة القبر :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال : " إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها نجا سعد بن معاذ "[١٦]

وإذا كان هذا لسعد بن معاذ زعيم الأنصار المقتول شهيداً بسهم وقع في أكحله في غزوة الخندق ، هذا الذي اهتز عرش الرحمن لموته فما بالك بغيره؟ نسأل اللّه السلامة .

فهذه الضغطة لا ينجو منه صالح ولا طالح لكن الكافر يدوم ضغطه والمؤمن لا، والمراد به التقاء جانبي القبر على الميت ، إذ ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة فإن كان صالحاً فهذه جزاؤه ثم تدركه الرحمة ، وقد كان يقال لها ضمة إذ أصل ذلك أن الأرض أمهم ، منها خلقوا فغابوا عنها طويلاً فتضمهم ضمة والدة غاب عنها ولدها فالمؤمن برفق والعاصي بعنف غضباً عليه ، فقد خلق الآدمي من هذه الأرض وقد أخذ عليه العهد والميثاق في العبودية له فما نقص من وفاء العبودية صارت الأرض عليه واجدة ، فإذا وجدته في بطنها ضمته ضمة ، ثم تدركه الرحمة فترحب به وعلى قدر سرعة مجيء الرحمة يتخلص

---

[١٦] أخرجه الإمام أحمد (٦ / ٥٥ ، ٩٨) و جود إسناده الحافظ العراقي كما في تخريج الإحياء وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وابن حبان في صحيحه (٣٧٩/٧) برقم (٣١١٢) عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، ورواه الطبراني في معجمه الكبير (٣٣٤/١٠) برقم (١٠٨٢٧) ، (٢٣٢/١٢) برقم (١٢٩٧٥) من حديث ابن عباس كذا فيه لكن أفاد العلامة الشيخ الألباني كما في الصحيحة (٢٧١/٤) أن الذي يغلب على الظن أنه من حديث عبد الله بن عياش لا ابن عباس ـ والله أعلم ـ ولفظه " لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد بن معاذ، ولقد ضم ضمة ثم روخي عنه "
والحديث صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه وشواهده في الصحيحة (١٦٩٥) وصحيح الجامع (٢١٨٠) ، (٥٣٠٦) .

من الضمة ، فإن كان محسناً فإن رحمة اللّه قريب من المحسنين ، فإذا كانت الرحمة قريبة من المحسنين لم يكن الضم كثيراً ، وإذا كان خارجاً من حد المحسنين لبث حتى تدركه الرحمة ولا ينافيه اهتزاز العرش لموته لأن دون البعث زلازل وأهوال لا يسلم منها ولي ولا غيره " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوا "

[مريم/ ٧٢]

قال عمر: لو كان لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع .

وفي الحديث إشارة إلى أن جميع ما يحصل للمؤمن من أنواع البلايا حتى في أول منازل الآخرة وهو القبر وعذابه وأهواله لما اقتضته الحكمة الإلهية من التطهيرات ورفع الدرجات ، ألا ترى أن البلاء يخمد النفس ويذلها ويدهشها عن طلب حظوظها ، ولو لم يكن في البلاء إلا وجود الذلة لكفى إذ مع الذلة تكون النصرة.

وأهل الاستقامة يردون اللحود وقد يكون فيهم خصلة عليهم فيها تقصير فيردون اللحد مع بعض التقصير غير نازعين عنه ، وليس ذلك بذنب ولا خطيئة فيعاتبون في قبورهم عليه ، فما بالنا نحن والذنوب كثيرة والتفريط بالغ منهاه رب سلم سلم.

۞ وعن أبي أيوب الأنصاري ﵁ قال: دفن صبي فقال رسول اللّه ﷺ . لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي [١٧]

وظاهر الحديث أن الضمة لا ينجو منها أحد باستثناء الأنبياء فحتى الصبي ضمَّ نعوذ بالله من ضمة القبر وفتنة القبر .

---

[١٧] أخرجه الطبراني في الكبير (١٢١/٤) برقم (٣٨٥٨) ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٢٣٨) .

٣- سؤال الملكين :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

" إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا .

قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ

قَالَ صلى الله عليه وسلم : وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ .[18]

۞ عن عطاء بن يســار قال: قال رســول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : " يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسـوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشـبر، ثم رجعوا إليك فغسـلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتى يضـــعوك فيـه ، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك، فإذا انصرـفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير ، أصـواتهما كالرعد القاصـف وأبصـارهما كالبرق الخاطف يجران أشـعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك، كيف

[18] متفق عليه . أخرجه البخاري (١٣٧٤) ك الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر . ـ واللفظ له ـ ومسلم (٢٨٧٠) ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه .

بـك عنـد ذلك يا عمر؟ فقال عمر: ويكون معي عقلي مثل عقلي الآن؟

قال "نعم" قال "إذن أكفيكهما " [١٩]

[١٩] قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسـلا ورجاله ثقات. وقال البيهقي في الاعتقاد : رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا . قلت : ووصله ابن بطـة في الإبـانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال : غريب بهذا الإســـناد تفرد به مفضـــل ، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر ؛ فقال عمر: أيرد إلينا عقولنا؟ فقال "نعم كهيئتكم اليوم" فقال عمر: بفيه الحجر.

الثلاثة الأخر من أهوال القبور :

<u>٤- دخول الجليس .</u>

<u>٥- رؤية مقعده من الجنة أو النار .</u>

<u>٦- العذاب أو النعيم .</u>

وهذه الثلاثة مجتمعة دليلها تفصيلاً في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأهل السنن وصححه جماعة من العلماء والشيخ الألباني في أحكام الجنائز وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال :

" خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانهينا إلى القبر ولما يُلحد ، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة ، وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت في الأرض ، فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ، ثلاثاً ، فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين ، أو ثلاثاً ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ، ثم قال :

إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة (وفي رواية : المطمئنة) ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، (وفي رواية :

حتى إذا خرجت روحه صلي عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قِبَلهم) ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، فذلك قوله تعالى : " توفته رسلنا وهم لا يفرطون " [الأنعام /٦١] ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعني - بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها ، إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، " وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون " [المطففين /١٩-٢١] فيكتب كتابه في عليين ، ثم يقال : أعيدوه إلى الأرض ، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال: فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه في جسده ، قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، ويجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، فآمنت به ، وصدقت. فينادى مناد في السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه

من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه (وفى رواية : يمثل له) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، أبشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : وأنت فبشرك الله بخير من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله ، بطيئاً في معصية الله ، فجزاك الله خيراً ، ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار ، فيقال : هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما في الجنة قال : رب عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلي ومالي ، فيقال له : اسكن.

قال : وإن العبد الكافر (وفى رواية : الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد ، سود الوجوه معهم المسوح من النار ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب ، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وتعلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ،

ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى المساء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له، ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : " لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ، حتى يلج الجمل في سم الخياط " [الأعراف /٤٠] فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، (ثم يقال : أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى) ، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده ثم قرأ : " ومن يشرك بالله ، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق " [الحج/٣١] فتعاد روحه في جسده ، قال : فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شـديدا الانتهار ، فينتهرانه ، ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هَاه هَاه لا أدري ، فيقولان له : مـا دينـك ؟ فيقول : هـاهٍ هـاهٍ لا أدري ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمدُ ! فيقول : هاهٍ هاهٍ لا أدري ســمعت الناس يقولون ذاك ! قال : فيقال : لا دريت ، ولا تلوت ، فينادي مناد من الســماء أن كذب عبدي ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه (وفي روايـة : ويمثـل لـه) رجـل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي

كنت توعد ، فيقول : وأنت فبشرك الله بالشر من أنت ؟ فوجهك الوجـه يجيء بـالشرـــ ! فيقول : أنـا عملـك الخبيـث ، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصـــية الله ، فجزاك الله شراً ، ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضُرب بها جبل كان تراباً فيضرـبه ضربة حتى يصـير بها تراباً ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضرـــبه ضربة أخرى ، فيصـــيح صـــيحة يســـمعه كل شيء إلا الثقلين ، ثم يفتح له باب من النار ، ويُمهد من فُرش النار ، فيقول : رب لا تقم الساعة.[٢٠]

[٢٠] أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) والحاكم (٣٧/١-٤٠) والطيالسي (٧٥٣) وأحمد (٢٨٧/٤ و ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦) ـ والسياق له ـ والآجري في (الشريعة) (٣٦٧-٣٧٠).

وقال الحاكم "صـحيح على شرط الشـيخين". وأقره الذهبي ، وهو كما قالا ، وصـححه ابن القيم في (إعلام الموقعين) (٢١٤/١) و(تهذيب السـنن) (٣٣٧/٤) ، ونقل فيه تصـحيحه عن أبي نُعيم وغيره ، وصححه الشيخ الألباني في أحكام الجنائز (٢٠٠ : ٢٠٢) وصحيح الجامع (١٦٧٦) .

كيف تنجو من عذاب القبر؟

أخرج ابن حبان في صحيحه ـ والسياق له ـ والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ " إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه ، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتي من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قبلي مدخل . فيقال له : اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي . فيقولون : إنك ستفعل أخبرني عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد عليه ؟ قال : فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند الله . فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله .

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ، وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدأ منه ، فتجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير يعلق في شجر الجنة قال فذلك قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

(إبراهيم ٢٧)

قال : وإن الكافر إذا أتي من قبل رأسه لم يوجد شيء ، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء ، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء ، ثم أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء ، فيقال له: اجلس فيجلس خائفا مرعوبا . فيقال له : أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أي رجل !! فيقال : الذي كان فيكم فلا يهتدي لاسمه حتى يقال له : محمد . فيقول ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس . فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله . ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورا ، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له : ذلك مقعدك من الجنة ، وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبورا ، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله " فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " [طه/١٢٤] [٢١]

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول : يا أيها الناس إني عليكم ناصح ، إني عليكم شفيق ، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور ،وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق .[٢٢]

---

[٢١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٨٠/٧) برقم (٣١١٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن من أجل محمد بن عمرو ، والحاكم في المستدرك (٥٣٥/١) برقم (١٤٠٣) .

[٢٢] تاريخ دمشق (٢١٤/٦٦) .

س و ج في عذاب القبر

س١ : هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟

ج١ : هو نوعان : منه ما هو دائم كما قال تعالى " النار يعرضون عليها غدواً وعشياً " [غافر/٤٦].

والنوع الثاني : أنه مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وهو في الممحصات.

س٢ : أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة ؟

ج٢ : يتلخص من أدلة الشرع أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت .

١- فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء وهم أيضاً متفاوتون في منازلهم .

٢- ومنها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي أرواح بعض الشهداء .

٣- ومنها في أسفل سافلين وهي أرواح الكفار والمجرمين " إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء " [الأعراف/٤٠] .

س٣ : هل سؤال القبر خاص بهذه الأمة أو لا ؟

ج٣ : بل هو عام لألفاظ الحديث ففيها الكافر والفاجر والمشرك والمنافق.

صرخة قبل فوات الزمان

يا من يدعى إلى نجاته فلا يجيب ، يا من قد رضى أن يخسر ويخيب ، إن أمرك طريف وحالك عجيب ، اذكر في زمان راحتك ساعة الوجيب ، واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب .

ويحك إن الحق حاضر ما يغيب ، تحصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدل وما يخفي المريب ، اسمع لا بد لغربان الفراق من نعيب .

أنساكن الغفلة ولغيرنا نعيب ، يا من سلعه كلها معيب ، اذكر يوم الفزع والتأنيب. " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب " .

لا بد والله من فراق العيش الرطيب ، والتحاف البلي مكان الطيب ، واعجباً للذَّات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك أحضر قلبك لوعظ الخطيب ، " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب " .

تذكر من قد أصيب كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه لأحظ الحظ والنصيب، واحترز فعليك شهيد ورقيب ، إذا حل الموت حل التركيب ، وتقلب مقل القلوب في قلب التقليب .

ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفعك البكاء والنحيب ، لا بد من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا من عمله كله رديء فليته قد شيب ، " واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ".

أجارنا الله بكرمه منها ، ووفقنا لما ينجي عنها ، وجعلنا بفضله ممن قام بما يؤمر واجتنب ما عنه ينهى ، فكم له من نعم سامية " نار حامية " .

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذكرهِ

وتعترضُ الدنيا فنلهو ونلعب

يسعى الفتى وخيولُ الموتُ تطلبُهُ

وإِن نوى وقفةً فالموتُ ما يقف

نحن بنو الموتى فما بالنُا

نعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبهِ

وكتبه

شريف كمال عزب

فهرس